بسم الله الرحمن الرحيم

ثارت في المجتمع الإسلامي موجات فكرية متضاربة متناقضة حول قضية الحلاقة بعد شهادة عثمان بن عفان رضي الله عنه، فشهد العصر الأموي إرحابا سياسيا ذات نظريات مختلفة تحاربت وتضارعت بالسيف والأناسة لتحقيق اهدافها السياسية، فتطور الشعر السياسي لاستخدام كل حزب عليه في نشر نحلته وتأييد دعواته تطورا بارحا حتى يبدو كأنه وليد هذا العهد ونتاجه، وحاولت ان ادرس هذا التطور في هذه الدراسة.

تشمل هذه الدراسة على أربعة أبواب:

الباب الأول:

الشعر السياسي قبل العصر الأموي

يستخدم من الإشاعر التي وصلت إلينا من العرب أن أول نوع أدبي يحتوي على نواة سياسية هو ذلك الشعر الذي قبل في سبيل القبيلة أو الإمارة في العصر الجاهلي، فكان الشعر السياسي الجاهلي فطريا كما كان العصر الجاهلي للعرب ككل العصور الأولى للعقل البشري سادجا فطريا في علومه ونظمه وسماسته، وكان ظهور الإسلام نهضة عامة شملت الحياة بجميع نواحيها من الدين والسياسة والاجتماع، فأخذت تتغير هذه النواحي وما يتصل بها من طور جاهلي عربي إلى طور إسلامي جديد، وانما التغير الذي حدث في تلك الآونة بسبب الدين الجديد أصاب الشعر السياسي نفسه يتغير من وجوه شتى، ولعل أول هذه الوجه هو الموضوع، بينما كان يدور موضوعه في الجاهلية حول القبيلة أو الإمارة بدأ يدور في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم حول دولة إسلامية تريد أن تقوم ودولة وثنيه توشك ان تزول، ثم عن توحيغ الفتنة السياسية التي رفعت عفراها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والجدال الذي اجتمعت حول رياضة الدولة الإسلامية داشة، وبرسوم النشاط السياسي في عهد أبي بكر رضي الله عنه، والدولة الإسلامية في سياستها الداخلية والخارجية اللتين صارتا لها.
على الوضوح في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما، ونستطيع الفتنة التي حدثت في آخر
الخليفة عثمان رضي الله عنه، واضطرابات السياسة الداخلية في خلافة على رضي الله عنه
فهكذا صار موضوعاً سامياً أنسانياً بعد ما كان قبلها جاهلياً وما لاشك فيه أن هذا التحول
تحول خطير في تاريخ الشعر السياسي، وثانيها المعاني، ان التحول من الجاهلية إلى الإسلام
كان عسيرًا وبطنياً في ابتكار المعاني وعلى الرغم من ذلك برزت المعاني الدينية في شعر ذلك
العصر بروزاً واضحًا، واما الأساليب فكانت مضطربة غير مستقرة، فكانت منها العبارات
الحزلة القوية كما كانت منها الضعيفة المخلولة والوسطي العادل، وبينما كانت غاية الشعر
السياسي الجاهلي الفظة عبارة عن الفخر بالقيلة والتحدث بفتورها وأيامها وبدورها في
نفوذ القيلة المعاداة، ونحو ذلك، أصبحت عبارة عن الهجوم على الإسلام وتنفيذ الناس منه
وتغيير الغلبة للوثبة، وعن هكذا ظلمات الوثبة والشرك وتشريع نور الإسلام على الكون
اجمع، فهُم الشعر من حيث أنه فن، ونهض مرة أخرى من حيث أنه أصبح أداة سياسية للدفاع
والهجوم، ونهض مرة ثالثة من حيث أنه ازداد فوق ثروته بالكلمات الإسلامية الجديدة التي
جاءت في القرآن وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

الباب الثاني:
التطورات السياسية في العصر الأموي
تطور الغرب في العصر الأموي في الحضارة والمادية والعمران والاقتصاد و
الزراعة فتطورت سياستهم وفي ظروف الزمان، فشهد العصر الأموي احتجازاً سياسية ذات
نظريات مختلفة تجارب، وتصرفات بالسيوف والأسسئة لتحقيق أهدافها السياسية كالشيعة
والخوارج والزرادق والأمويين.
جعل الحزب الشيعي الإمامة حقاً شرعياً للعلى بن أبي طالب وأبنائه من بعده، وذهب
الي أن هذا الحق الشرعي هو بأمر من الله ونصّ منه إلى نبي الهم، وحارب في سبيل هذه
الفكرة غيره من الأحزاب وخاصة الحزب الحاكم محاربة شديدة.

2
وأعلن الخوارج ان الخلافة حق لكل مسلم كفء سواء كان عرباً أم عجمياً، وسواء كان قريشياً أم غير قريشى، وأجبروا بأن الخلافة لأباد يكون مختاراً من الشعب، واستمروا بعقيدتهم هذه واجهوا اعتراف الجهاد في تحقيقها، فأقرقا الدولة الأموية زمناً طويلاً بثوراتهم وحروبهم كما أقروا عبد الله بن الزبير واضطررو إلى حربهم.

و رأى الحزب الزبيري أن الخلافة حق لقريش وحدها و أن عبد الله بن الزبير أكفاً.

القرشين للحكم فحارب الحزب الحاكم مرات وحارب الشيعة والحوارج مرات أخرى.

و ادعى الأمريون أن الخلافة حق لهم وأنهم وروثوها عن عثمان رضي الله عنه ثم تعلقوا بمذهب الحجر واعنوا أن الله اختارهم لحكم المسلمين وعولوا على ذلك لتسوية تعيينهم لأولاء عهودهم ونكلوا بمن عارض نظريتهم هذه وكافحوا من حاول لانتزاع الملك منهم.

الباب الثالث:

الشعر السياسي في العصر الأموي

استخدم شعراء الحزب الشعر في العصر الأموي لأغراض سياسية حرية فاحتث شعراء الشيعة لنظريتهم السياسية مستعينين في استدلالهم بما يتأتى لهم من آيات القرآن ومن أحاديث النبي والقياس المنطقي، وحادوا عنها بأنهم جدالاً عاطفاً وعقلياً، وهموا على الأحزاب المعارضة وخاصة على الحزب الحاكم هجوهاً شديداً وأصبحوا يهجمون بالكفر والجوع والاستبداد والطغيان، كما صوروا شعراء الخوارج بما قاموا به من الأعمال العسكرية في سبيل عقيدتهم السياسية بصورةً رائعة صادقة وهموا على الأحزاب المعارضة هجوهاً عنيفاً، وكذلك أحدث شعراء الحزب الزبيري لأحقية عبد الله بن الزبير وضع الله عنهما بالخلافة بأن الله أحق بالخلافة وان عبد الله بن الزبير أفضلهم، واهتموا بالطبع على المخالبين والتنديد بهم وإشراف الأحقاد ضدهم، وعلى هذه الشاشة يحتش شعراء الحزب الأموي لنظرية الأمويين في الخلافة ولاية العهد، فذكروا أن الخلافة لا تصلح إلا لبنت أمية ولا تصح إلا بهم لأنهم يتصفون بجميع الصفات العربية الحسنة والخصال الإسلامية الكريمة، وبالإضافة
إلي ذلك انهم يشعرون بأن الأمورين ورؤوا الخلافة عن عثمان بن عفان الذي اخذها عن طريق الشورى لأنهم أهل بيه، فالخلافة حق من حقوقهم؛ ثم يعتدون في احتجاجهم لأحقية بني أمية بالخلافة وتأييد حقهم في تعيين أولاء عهودهم على مذهب الجهر، ويستهدفان ان يلقبوا في روع الناس ان سيادة الأمورين قدر محتم لامناع منه ولا محيط عنه، وليس لأحد ان يعارضهم لأنهم يحكون بإرادة الله ورسولهم بقضائه وقدره، ويهمهم هولاء الشعراء على الأحزاب المعاضرة هجوماً عنيفاً، وكذلك نراهان يصفون سياسة الخلفاء الأمورين وصفاً رائعاً، ويصغرون سياسة الولايات والمحافظات تصويراً دقيقاً، نغوصون آهاتنا بسياسة الولاة واصفين بما قاموا من الأعمال الخصمة لمصالح الرعية وينددون بها تارة ثائرين عليهم، ويدفعون الشكوى الى الخليفة من حورهم ويسحلون تجاوزهم في أمرهم أو خروجهم على الدولة وسلوك الخلفاء معهم من الكبح والعقاب، ويتحدثون عن العصياعات التي استخدمتها الدولة لأهدافها السياسية، ويعبرون عن رغبات الخلفاء الأمورين في خلع الأولياء العهود المبايعين واتخاذهم ولاية العهد لأبنائهم مكانهم، ويسحلون ما عانى ألباء العهود المبايعين من الأذى بسبب سن الخلفاء الأمورين في ولاية العهد، وما تركت هذه السنة من ثور سيئ على الدولة الأموية، ويذكرون انزبلات أمور الدولة وسقوطها.

الباب الرابع:

ميزات الشعر السياسي في العصر الأموري

يجعل شعر الأحزاب السياسية من الشيعة والخوارج والزيبيين والأمورين في مجال السياسة وينطبع بطبع الدين لأن سياسة كل حزب كانت مصوغة بالصياغة الدينية، وينطبع شعر الشيعة بطبع الحزن القيم الذي يرين عليه مهما اختلفت أغراضه، فهو شعر عاطفي حزين حزناً بالغًا متميزاً حتى يصدق عليه بكتابة حزينة كما هو شعر وجدت فيه لأول مرة الحمجل العقلية المحضة، ويزتمر اسلوب شعراء الشیعة الساسوين خلال الموضوعات المتنوعة ذات الطوابع المختلفة في وضوح باختلاف البعث، فأشارهم في حب آل البيت
رقيقة الأسلوب وحارة العاطفة ومتفقة الإحساس، وانها تزداد رقة وعذوبة وصفاء في الرثاء
حتى لتصير دوماً خالصة، ويتولوا أسلوبهم في الخصومة إلى سهام قوية مهتاحة تستددي الصدور الخصومة وتصب البويل والثور وتبدد بالظلم والعسف والبعد عن سن الدين وتعطيل أحكامه، ويجري في الحجاج مع الخصومة رافقاً من شوائب العاطفة وحراً من إيحاءات الشعر بحيث لايمضح بمروى شيء غير الفكر والجدل والاحتجاج ولكنه قد يسف ويميل إلى التربة
حتى عده بعض النقاد حقيقة وليس شعراً
واللزم شعراء الخوارج بعقيدتهم السياسية ولم يجدوا عنها إلا نادرًا، وكان أكثر
اصحاب هذا الشعر من زعماء المذهب الخارجي الذين حاربوا لإقامة الدولة التي يحلمون
بتحقيقها محاربة شديدة فنجاه شعرهم حماسيا حاراً اندفعاه في ميادين القتال، يضأل فيه الرصبة القبلية، وانفلت شعراء الخوارج بوحي من عقيدتهم من قوانين القصيدة الجاهلية
واغلالها فلم يرسموا طريق القدامى بل ساقتهم اصالتهم إلى التジャンيد، فبقي شعر الخوارج
بالصراحة والسلامة والدقة والبعد عن الغرابة والعمامة مع الميل إلى البداوة في التعبير والبعد
عن الصنعة الفنية، لقد مثل شعر الخوارج أعمالهم العسكرية التي قاموا بها لتحقيق فكرتهم
السياسية المصبوغة بالصيغة الدينية اصدق تمثل ولكنه فشل فشلاً تاماً في اعطاء صورة
واضحة للفكر الخارجي أو للعقائد الخارجية السياسية والدينية، هذا إذا استثنا ما يستخلص
من مزاعمهم "نحن الإسلام والإسلام نحن نحن".
وإنما يسرى في شعر الحزب الزبيري إحساس متفقة وعاطفة قوية حارة تضمن في
هجومهم على خصومهم وتروعهم إباههم وضوعها ببناء ولم تفسح العاطفة القوية مجالا
للاستدلال العقلي أو اصطلاح أسلوب الجدل والمنطق، فكان قوام الاحتجاج للمذهب وسائل
عاطفة محضة وهي عاطفة يغلب عليها الحزن والتحجر للظروف السبعة التي منيت بها الحركة
الزبيرية، ولكنها عاطفة قوية مستعملة في مواضع الفخار مليئة بالحقد الدفين والتصميم على
التأثير واستعمال العدو، فإن الشعر الزيدي شعر رصين حقل الأسلوب، قوى التركيب، متين السبك، رقيق اللفظ، أنيق التعبير، رائق النغمة سلس التدفق، وتميز هذا الشعر عن شعر المعاصرين جميعاً بلجدهه إلى الغزل الكيدي نكابة في الخصوص، وهو جاهزي السمات في افحاشه وإقذاعه على الرغم من الاحتباس في الاستخاء وراء الحلم والمنام.

والشعراء الذين يمثلون الحزب الأموي كانوا على العموم نفعين شايعوا الأمورين طمعاً في العطاء أو خوفاً من العقاب، فلما يكن شعراء الأمويين أشروا مذهبهم السياسي كما أشرب الكيمي مذهب الشيعة أو كما اعتنق ابن قيس الرقيات مذهب الحزب الزيدي أو كما استمسك قطري بن الفجاة وعمران بن حطان بمذهب الخوارج، ولذلك لا نجد في شعرهم حرارة العاطفة كما نجد في شعر الأحزاب المعارضة، ولا نرى لديهم العقيدة الحارة التي رأيناها عند الخوارج والشيعة، فتتسم شعرهم السياسي بالانتكان في العبارة والخيال ويتصرف بالابتعاد في المدح، وأنهم لم يأتوا بمعان جديدة كما فعل شعراء الأحزاب المعارضة، وصطبغ الشعر الأموي بالصيغة الدينية ولكن الطابع العام لهذا الشعر يغلب فيه المظهر الملكي السياسي على المظهر الديني.

وآخر دعاوتنا أن الحمد لله رب العالمين

محمد مظهر عالم الندوة